# مقدمات في سبيل الطلب

عبد الله بن سليمان العبدالله ( ذو المعالي )

فأحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، العليم الحكيم ، و أصلي و أسلم على نبينا محمد و على آله و صحبه و التابعين ، و من على نهجه سار إلى يوم الدين .

أما بعد :

إن طلب العلم من أشرف ما اشتغل به المسلم ، و من أنبل ما قصده صفيٌ أفخم ، فمناقبه كثيرة ، و فوائدة غزيرة .

و لا يخوض غمار الطلب إلا رجل آتاه الله الحكمة ، و اختصه بالفطنة ، و لا يكاد يُحْجِمُ عنه إلا من بوأه الله مقام الخذلان ، و اصابه بقارعة من الهوان .

أخي الفاضل : هذه كلمات هُنَّ مقدمات في سبيل الطلب ، أنلتُكَ إياها بلا تعب ، فخذها مني ؛ لك غُنْمُها ، و علي غُرْمُها ، و لك خُلَّصُ فوائدها ، و علي جائرة عوائدها .

محضت لك فيها النصح ، و صدقتك فيها التوجيه ، فضيِّفها لديك في أحسن تضياف ، و تمعنها برفق لا اعتساف .

## المقدمة الأولى : للعلم أصوله و قواعده :

، إن العلم _ كما هو مقرَّر لدى كثير من العلماء التربويين _ له أصوله و قواعده فلا يقوم أساسه إلا بتلك القواعد ، و لا يعتبر تفريعه إلا عن تلك الأصول ، قال الماوَرْدِي : ( اعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها ، و مداخل تُفْضي إلى حقائقها ، فليبدأ طالب بأوائلها لينتهي إلى أواخرها ، و

بمداخلها ليُفضي إلى حقائقها ، و لا يطلب الأخر قبل الأول ، و لا الحقيقة قبل المقصد ، فلا يدرك الآخر و لا يعرف الحقيقة ، لأن البناء على غير أُسٍ لا يُبْنى ، و الثمر من غير غرس لا يُجْبْنى ) [ أدب الدنيا و الدين ( 55)] .

فأصول العلم و قواعده التي تعارف عليها العلماء هي تلك الكتب الصغار المسماة بالمتون ، فمن حازها حاز الفنون ، و من أدركها أدرك علماً غزيراً .

و التدرج في الطلب ثلاثة أنواع :

الأول : تدرج في الفنون ، فيبدأ الطالب بالفن الأهم قبل المهم كـ ( العقيدة ) قبل ( الفقه ) .

الثاني : تدرج في المتون ، فيبدأ بالمتون الصغار قبل الكبار ، و ليحذر الدخول من الظهور .

الثالث : تدرج في دراسة المتن ، فلا يبدأ بدراسة المتن دراسة توسعٍ و بحث و هو ما زال في أوائل طريق الطلب لا يعرف أصول الفن و مقاصده .

المقدمة الثانية : طرق تحصيل العلم :

سلك العلماء في قديم الزمان و حديثه في طلب العلم مسالك عِدَّة منها :

أولاً: الحفظ : و هذا مسلك سار عليه كثير من أهل العلم و ابدعوا فيه :

تأصيلاًله ، و عملاًبه ، و دعوة إليه .

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي :

ليس علماً ما حوى القِمَطْرُ *** إنما العلم ما حواه الصدر

فائدة : ليس ثمة تعارض بين الحفظ و الفهم ، فهما رضيعا لبان ، و فرسي رهان في حال الطلب و شأن الطالب .

و هذا تحرير متواضع لهما :

مسألة الحفظ و الفهم من المسائل المهمة في سلك الطلب ..

و لا بد للطالب من مراعاتهما رعاية تحفظ مقامهما ، و شأنهما

و ذلك من خلال أمور :

الأول : الوقت المناسب لهما :

الحفظ أغلب ما يكون الاشتغال به في زمن الصبا ( و أعني : الإكثار من المحفوظ ) .

و الفهم أغلب وقته هو حال الكبر لتفتح الذهن .

و لا يعني ذلك أن الفهم يُغفل في حال الصغر .

و لا أن الحفظ يهمل في سن الكبر .

لا ، و إنما المراد هو إعمال كل سن بما يكون الإقبال عليه أكثر كما مر تقريره .

الثاني : ما يُعمل في كلا منهما .

أغلب ما يكون الاشتغال بالمحفوظ في أمور :

أحدها : النصوص الشرعية التعبدية .

ثانيها : ما يكثر الاستدلال به و الاحتجاج من العلم .

ثالثها : التعاريف و الضوابط .

و الجامع لهذين هو أغلب علم الغاية .

و أغلب ما يكون الفهم في أمورٍ تحتاج إلى تبصر و تعقل فهذه لا تحتاج إلى حفظ أكثر من احتياجها إلى الفهم و التدبر .

الثالث : الفهم هو تفتيق للذهن و إعمال لوظيفته فلا يجوز للطالب أن يغفله

أو يهمله .

و هو صعب في أوله لكنه مع الإدمان و الدربة يسهل .

و الحفظ هو تكرار لمحفوظ فلا ينفع صاحبه إلا في جزيئة صغيرة .

هذا إذا لم يكن ثمة فهم يصاحبه .

فإن صاحبه فهم فهو من أحسن ما يكون .

ثانياً : القراءة على الشيوخ : و هذا أساس العلم و قاعدته ، و به يُوْثَقُ بعلم الرجل .

و القراءة على الشيخ مقام رفيع ، و مكان منيع .

وللقراءة على الشيخ أصولاًمهمة :

1- أن يكون الشيخ من أهل العلم و الاعتقاد الصحيح ، فإن للشيخ تأثيراً على طلابه قوياً .

2- أن يكون الشيخ عالماً بالفن الذي يُقرأ عليه فيه .

3- أن يكون على جانب كبير من الأخلاق و الفضائل .

4- أن يكون عارفاً بأصول التعليم ، فلا يبدأ بالطالب من كبار المسائل ، و لا يدخله في متاهات الخلاف .

ثالثاً : القراءة الفردية : و هي مُكَوِّنَةِ علم الرجل ، و مُنْضِجَة فكره .

و بها تمدَّح العلماء ، و بفضلها ترنحوا ، و هي على أقسام ثلاثة :

الأول : القراءة التأصيلية : و هي القراءة التي يعتمد فيها على التركيز و التمعن ، و هي في نوعين من الكتب :

1- شروح المتون : فإن التركيز عليها حال قراءتها من مطالب التأصيل و التأسيس ، و بها يكون الطالب على إلمام كبير بمقاصد المتن .

2- كتب العلم ( الشرعي ) و هي التي يكون فيها التحصيل العلمي ، مثل كتب : الاعتقاد ، الفقه ، الحديث ، الأصول ، المصطلح ، النحو ....

الثاني : القراءة الجردية : و هي تعني أن هناك كتباً تقرأ قراءة فيها نوع من التركيز و التفهم ، و لا تحتاج الى إعمال الفكر و العقل في عباراتها ، و هي في نوعين من الكتب :

1- المطولات : و هي الكتب ذات المجلدات الكثيرة ، و هي لا تستدعي التوقف عندها و التفكر لمعانيها ، إنما تقرأ لبحث ، أو غيره من الحاجات .

مع أن المتعيِّن على طالب العلم أن يقرأ بها و لكن بعد إدراكه أصول العلم .

2- كتب التكميل العلمي : و مرادي بالتكميل العلمي : هو تحصيل الطالب علماً ليس أساساً في تكوينه علمياً و تأصيله فيه ، بل هو من مكملات ثقافته و علمه .

و علومه : التأريخ ، التراجم ، الأدب ، اللغة ...

الثالث : القراءة الموسمية : و هي القراة التي تكون في مناسبات و أوقات ، و هي نوعان :

1- قراءة في المواسم العبادية : كقراءة كتب الحج قبل الحج ، و الصيام قبل الصيام ، و النكاح قبل النكاح ، و البيوع قبل البيع و الشراء .

2- القراءة في أحكام النوازل : و هي القراءة في الكتب التي ألفت في أزمنة من أزمنة المسلمين التي حلت فيهم نازلة و كارثة كغزوة أشكلت عليهم ، و هكذا .

المقدمة الثالثة : العلم قسمان :

علم الغاية خمسة علوم :

1- القران ( التفسير ) .

2- الفقه .

3- الحديث .

4-العقيدة .

5- السيرة .

و علوم الآلة :

1- أصول الفقه .

2- القواعد الفقهية .

3- المصطلح .

4- أصول التفسير .

5- اللغة :

أ - النحو .

ب_ الصرف .

ج _ البلاغة .

المقدمة الرابعة : في تقييد الشوارد :

يحظى الطالب و هو في مضمار الطلب بفوائد نفيسات ، و فرائد بديعات ، و حكمة في غير مظانها ، و قاعدة في غير محالِّها ، و غالب الإخوان لا يعير تلك الفوائد اعتباره ، و لا يصرف لها فضول أنظاره ، فتفلت منه على غير عودة ، و تذهب على غير أوبة ، فتلحقه حين أرادته لها الحسرة ، و تزعجه من أجلها الفكرة .

و حتى يتفادى الطالب تلك المزالق ، هذه جملة من طرائق تقييد الفوائد :

1- على طُرَّة الكتاب ؛ أي على باطن جلدته .

2- على دفاتر خاصة ( لكل علم دفتر ) .

3- على بطاقات البحث .

و يلاحظ فيها : عنونة الفائدة .

هذه جملة المقدمات الممهدات للطلب العلم الشرعي ، و هن أسس لكل طالب علم . و الكلام في العلم يطول ، و الحديث فيه و عنه ذو شجون ، و لكن حسب اللبيب الإشارة ، و يكفي المعصم من السوار ما به أحاط .

فلتكن منك على بال ، و حرص على اغتنام العمر في سبيل العلم و تحصيله .

الاثنين 7/11/1422هـ